فَصلٌ في قصَّة الخَضِر عليه السَّلام[١]

الترتيب أن نذكر الخضر في ترجمة ذي القرنين، لأنه كان ابن خالته، أو في ترجمة موسى لما جرى له معه، وإنما أفردنا له باباً على حدة لأن سيرته تقتضي ذلك.

واختلف العلماء في اسمه ونسبه على أقوال:

أحدها: أنه اليَسَع بن مَلَكان بن فالِغ بن عابِر بن شالِح بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السلام، قاله مجاهد.

والثاني: بليا بن مَلَكان بن يقطن[٢] بن فالِغ بن عابِر بن شالخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح، قاله مقاتل. وكذا ذكر ابن قتيبة في «المعارف»، إلا أنه قال: بليا بن مَلَكان بن فالِغ أو ابن مَلَكا[٣].

والثالث: خضرون بن عاميل بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. قاله كعب. وكذا هو في «التوراة».

والرابع: إرميا بن خلقيا، من سبط هارون بن عمران، قاله ابن إسحاق. وأنكره أبو جعفر الطبري وقال: إرميا كان في زمان بخت نصَّر، وبين بخت نصَّر وموسى زمن طويل.

قال الطبري: والخضر هو الرابع من ولد إبراهيم لصلبه[٤].

قلت: وابن جرير الطبري أولى من أن يُنكَرَ عليه، وأين الخضر وآدم؟ وقد قال في «تاريخه» ما هو أعظم من هذا، قال: هو الذي دفن آدم حين أنزل من السفينة، وأن نوحاً دعا له أن يطيل الله عمره إلى يوم القيامة. وهذا قولٌ لم يُوافقه عليه أحد.

قال مجاهد: وهو من ولد يافث بن نوح، كما أنه كان وزير ذي القرنين ويسير في مقدماته.

---

(١) في (ب): الباب العشرون في قصة الخضر عليه السلام.

(٢) في (ط): مقطن، والمثبت من (ب).

(٣) «المعارف» ص ٤٢.

(٤) لم أقف على كلام الطبري في تاريخه، ونقله المصنف بواسطة جده من المنتظم ١/ ٣٥٧ـ٣٥٨.

وقال مقاتل: وقد قيل: إنه ولدُ رجل من أهل بابل ممن آمن بالخليل عليه السلام وهاجر معه. وقيل: اسمه عاميل بن مَلَكان.

واختلفوا لم سمي الخضر؟

قال بعضهم: هو أحد أساميه.

وقال عكرمة: وسمي الخضر لأنه كان إذا صلى على أرض اخْضَرَّ ما حوله.

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما سُمِّيَ الخَضِرُ خَضِراً لأنَّه جَلَسَ على فَروَةٍ بَيضَاءَ فإذا هي تهتزُّ خَضرَاءَ». انفرد بإخراجه البخاري(١).

قال الجوهري: والفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة(٢).

وقال الزجاج: الفروة الأرض اليابسة.

وهل كان نبياً؟ فيه قولان: روى مجاهد عن ابن عباس أنه كان نبياً. والثاني: أنه كان عبداً صالحاً قاله عليٌّ، وعليه عامَّة العلماء.

وقيل: إنما سمي الخضر لحسنه وإشراق وجهه. وقد ذكرنا قصته مع موسى عليه السلام.

فصل في اختلاف العلماء في حياته وموته

ذهب جماعة من أهل النقل إلى أنه توفي.

ومذهب مشايخ الطريقة والحقيقة وأرباب المجاهدات والمكاشفات أنه حي يرزق ويشاهد في الفلوات، وأنهم يرونه ويشاهدونه، كعمر بن عبد العزيز، وإبراهيم بن أدهم، وبِشر الحافي، ومعروف الكرخي، وسَري السقطي، والجُنيد، والخوَّاص، وغيرهم. وقد ذكر ذلك عامة العلماء في «الحلية» و«الرسالة» و«مناقب الأبرار» وغير ذلك، وحوشوا من الكذب، لأنهم القدوة ولنا بهم أسوة، وما كان الله ليجمعهم على ضلالة.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨١١٣)، والبخاري (٣٤٠٢).

(٢) «الصحاح» (فرا).

واحتجَّ الفريق الأول بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾[الأنبياء: ٣٤] وبما روى أحمد بإسناده عن ابن عمر قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلم بهم قال: «أرأَيتُم لَيلَتكُم هذه، فإنَّ على رأسِ مئةِ سنةٍ منها لا يَبقَى ممن هُو على ظَهرِ الأرضِ أَحدٌ». قال ابن عمر: فذهل الناس من مقالته. متفق عليه(١).

وبما أخرج مسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما مِن نَفسٍ منفُوسةٍ تبلُغُ مئةَ سنةٍ وهي حيةٌ يومئذٍ»(٢).

قالوا: ولأن الخضر لو كان حياً لأتى إلى النبي ﷺ.

ووجه قول الفريق الثاني: ما ذكرناه من إجماع أرباب الحقائق وهو لا يتصوَّر تواطؤهم على الكذب، وكفى بإجماعهم حجة. ومن أنكر حياة الخضر لم يكن له ذوق بإشارات القوم، لأن مثل هذا إنما يعرفه الباحث من جنسه، وسنذكر اجتماعَ من سمَّينا به في سير القوم في كتابنا عند تراجمهم.

وأما ما احتجوا به من قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ فما ادَّعوا أنه مخلَّد، وإنما يبقى إلى انقضاء الدنيا، فإذا نفخ في الصور مات لقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[الأنبياء: ٣٥] وأما ما حدَّث ابن عمر وجابر فمتروك، والظاهر أنَّ جماعةً عاشوا أكثر من مئة سنة منهم: سلمان الفارسي، فإنه عاش ثلاث مئة سنة وقد شاهد رسول الله ﷺ، وحكيم بن حزام مئة وعشرين وغيرهما. وإنما أشار ﷺ إلى ذلك الزمان لا إلى ما تقدم وهو الأليق به، على أنه قد عاش بعد ذلك الزمان خلق كثير أكثر من مئة سنة.

وقولهم لو كان حياً لأتى إلى رسول الله ﷺ، فيحتمل أنه تركه إجلالاً أو عذراً وطلب من الله الإذن في ذلك. وقد كان في زمان رسول الله ﷺ جماعة ممن آمن به منعهم الأعذار عن لقائه كأبي مسلم الخولاني وأُويس القَرَنيُّ وغيرهما، ويحتمل أنه اجتمع به ولم ينقل.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥٦١٧)، والبخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٣٨).

وقد جمع جدي رحمه الله كتاباً في هذا الفن وذكر فيه العجائب[١].

وقد روي في حياته أخبار وآثار:

أما الأخبار: فذكر جدي رحمه الله في «الموضوعات» جملة منها: أنه جاء إلى مسجد رسول الله ﷺ، وأن رسول الله ﷺ سمع كلامه ولم يلقه[٢].

ومنها حديث اجتماع الخضر وإلياس في كلِّ عام بالموسم[٣]. ومنها اجتماع الخضر بالملائكة[٤] وعليٍّ عليه السلام[٥]، وبعمر بن عبد العزيز[٦]، ونحو ذلك، ثم ضعفها جدي وقال عقيب تضعيفها: وإن جماعة من المتزهدين يقولون: رأيناه وكلَّمناه، فواعجباً ألهم فيه علامة يعرفونه بها؟ وهل يجوز لعاقل أن يلقى شخصاً فيقول له إنَّه الخضر فيصدِّقه[٧]؟.

قلت: إجماعاً على أنه شاب حسن الوجه، طيب الرائحة، ظاهر الكرامات، يدلُّ على صحة ما قالوا، فإنهم مجمعون على ذلك لا يختلفون فيه، فإذا قال: أنا الخضر وظهرت هذه العلامات وجب تصديقه.

وقال عطاء: كتب نجدة الحروري إلى ابن عباس يسأله عن قتل الصبيان وعن الخمس لمن هو، وعن الصبي متى ينقطع عنه اليتم، وعن النساء هل يُخرج بهن أو يحضرن القتال؟ وعن العبد هل له في المغنم نصيب؟

فكتب إليه: أما الصبيان فإن كنت الخضر تعرف المسلم من الكافر فاقتلهم، وأما الخمس: فكنا نقول إنه لنا، فزعم قوم أنه ليس لنا، وأما النساء: فقد كان رسول الله

---

(١) وسماه: عجالة المنتظر في شرح حال الخضر، وقد ردَّ في المنتظم ١/ ٣٦١ على من قال بوجوده وحياته إلى زمانه.

(٢) «الموضوعات» (٤٠١ـ٤٠٢) من حديث أنس.

(٣) «الموضوعات» (٤٠٣ـ٤٠٤) من حديث ابن عباس.

(٤) «الموضوعات» (٤٠٥) من حديث علي بن أبي طالب.

(٥) «الموضوعات» (٤٠٦).

(٦) «الموضوعات» (٤٠٧).

(٧) «الموضوعات» ١/ ٣١٤ـ٣١٥.

ﷺ يُخرِجُ معه النساء فيداوين المرضى ويقمن على الجرحى ولا يحضرن القتال، وأما الصبيان فينقطع عنهم اليتم بالاحتلام، وأما العبد فليس له في المغنم نصيب ولكنهم قد كان يرضخ لهم.

فقول ابن عباس: إن كنت الخضر تعرف الكافر من المسلم فاقتلهم، يدل على أنه موجود، ولو كان معدوماً لم يقل ذلك[١].

وأما الآثار: فذكر مقاتل في كتاب «المبتدأ» له: أن إلياس والخضر شربا من عين الحياة فلا يموتان إلى يوم القيامة، قال: فالخضر يدور البحار يهدي من يضلُّ فيها، وإلياس يدور الجبال يهدي من أضله الغول، هذا دأبهما في النهار، فأما في الليل فإنهما يجتمعان عند سدِّ يأجوج ومأجوج يحفظانه، ومأكلهما من الجنة.

وقال مجاهد: الخضر باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وذكر أبو إسحاق الثعلبي في «تفسيره» عن عبد العزيز بن أبي رواد: أن الخضر وإلياس يصومان شهر رمضان في البيت المقدس، ويوافيان الموسم في كل عام.

وروي عن إبراهيم التيمي أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: كل ما يحكى عن الخضر حق، وهو عالم أهل الأرض، ورأس الأبدال، وهو من جنود الله تعالى.

وقد ذكر أبو القاسم في «تاريخ دمشق» فيه آثاراً أبلغ من أن تحصى، بلغ بها إلى الأمد الأقصى[٢].

(١) من قوله: وقال عطاء . . . إلى هنا زيادة من (ب) ليست في (ط).

(٢) انظر تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٧، وعرائس المجالس ٢٦٢، و«تاريخ دمشق» ١٦/ ٣٩٩.